

موضوعات متنوعة - مواقيت الصلاة - الدرس (07 - 15) : صلاة الكسوف والخسوف والاستسقاء.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 07-05-2012

بسم الله الرحمن الرحيم

مشروعية صلاة الكسوف في الإسلام :

صلاة الكسوف مشروعة في الإسلام، وهي سنة مؤكدة، وعند الأحناف واجبة، فلا بد من الحديث عن الكسوف أولاً، ثم عن صلاة الكسوف، وكيف تؤدي، وعن شروطها، وما إلى ذلك.

الكون مصطلح معاصر، بينما مصطلح القرآن الكريم السموات والأرض، والسموات والأرض من خلق الله عز وجل، وتوجد إحصاءات أخيرة أن في



الكون ما يقترب من مئة ألف مليون مجرة



ونحن في مجرة معتدلة، هي درب التبانة، شكلها على شكل مغزل، لو صورناها على شكل مغزل طوله أربعون سنتيمتر تقريباً، وعليه نقطة لا تزيد عن ربع ميليمتر، وهذه النقطة هي المجموعة الشمسية، والمجموعة الشمسية هي الشمس تدور حولها نجوم، والأرض أحد الكواكب التي تدور حول الشمس.

الشمس لو وازناها مع الأرض لزداد حجمها عن حجم الأرض بمليون وثلاثمئة مرة، أي إن جوف الشمس يتسع لمليون وثلاثمئة ألف أرض، والشمس حرارتها في جوفها عشرون مليون درجة، وعلى سطحها ستة آلاف، فلو أقيت الأرض في الشمس لتبخرت في ثانية واحدة في جوفها الداخل، وبين الشمس والأرض مئة وستة وخمسون مليون كيلومتراً، يقطعها الضوء في ثماني دقائق، والأرض تدور حول الشمس بسرعة ثلاثين كيلومتراً في الثانية، وقد مضى عن بدء الدرس الآن خمس دقائق، دارت الأرض خلالها ألفاً وثلاثمئة كيلو متراً، وفي خمس دقائق تقريباً عشرة آلاف كيلو متراً، فمنذ أن قلت: بسم الله الرحمن الرحيم حتى الآن الأرض قطعت عشرة آلاف كيلو متراً في دورتها حول الشمس، وتقطع هذه المسافة في ثلاثمئة وخمس وستين يوماً وربعمًا، وهي السنة الشمسية، والقمر يدور حول الأرض دورة كل شهر، فلو أخذنا مركز الأرض ومركز القمر - فالأرض يدور حولها القمر - ووصلنا بينهما بخط، وهذا الخط هو نصف قطر الدائرة التي هي مسار القمر حول الأرض، وبحساب بسيط نصف القطر ضرب اثنين ضرب بي

(3.14)

نحصل على محيط الدائرة، أي بالأمتار، إذا عرفنا نصف قطر دائرة مسار القمر حول الأرض عرفنا محيط هذه الدائرة، و نعرف كم كيلومتراً يقطع القمر في رحلته حول الأرض، فلو ضربناها باثني عشر لعرفنا كم كيلو يقطع في السنة، ولو ضربناه بألف لعرفنا كم كيلو يقطع في ألف عام، قال تعالى:

(وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ)

[سورة الحج:47]

لو أخذنا الرقم الذي حصلنا عليه هذا الرقم الكبير لو قسمناه على ثواني اليوم، ستون ضرب ستين ضرب أربع و عشرين لكانت سرعة الضوء الدقيقة (مئتان و تسعة و تسعون ألفاً و سبعمئة و اثنتان و خمسون) هذه الآية مضمون نظرية اينشتاين، التي تاه الغرب بها، وقال: كشفنا سرعة الضوء، وبني على هذه السرعة النظرية النسبية، وقال علماء هذه النظرية: إن الشيء إذا سار بسرعة الضوء أصبح ضوءاً، فأصبحت كتلته صفراً، وحجمه لا نهائياً، وهذا هو الضوء. وهذه الآية:

(وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ)

[سورة الحج:47]

أي ما يقطعه القمر في رحلته في ألف عام حول الأرض، يقطعه الضوء في يوم واحد، هذا معنى الآية بالضبط، ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام، يقطعه الضوء في يوم واحد،

طبعاً قسمنا المسافة على الزمن فكانت السرعة، وقد لا يخطر في بال الإنسان أن هذه الآية تلخص النظرية النسبية، لأن الله عز وجل جعل هذا القرآن معجزة مستمرة.

الحكمة من إحجام النبي عن طرح الآيات الكونية :

النبي عليه الصلاة والسلام أحجم عن طرح الآيات الكونية لحكمة بالغه بالغه، أو لأن الله أمره بذلك، فلو شرحها شرحاً مبسطاً يفهمه أصحابه لأنكرنا عليه، ولو شرحها شرحاً مفصلاً نفهمها نحن لأنكر عليه، بل تركت هذه الآيات لتكون إعجازاً مستمراً لكتاب الله على مدى الأعوام، وإلى نهاية الدوران.



فالمجموعة الشمسية، الزهرة، وعطارد، والمريخ، والأرض، والمشتري، و نبتون، وبلوتو، هذه الكواكب كلها ممثلة على مجرة درب التبانة بدقة، وقال العلماء: قطر المجموعة الشمسية ثلاث عشرة ساعة، أما طول درب التبانة فمئة و خمسون ألف سنة ضوئية، فالآن القمر يدور حول الأرض، والأرض تدور حول الشمس، وأحياناً وبحسابات فلكية دقيقة جداً، يمكن أن يأتي القمر بين الأرض والشمس، فيحجب عنا أشعة الشمس، وهذا هو الكسوف، أن يقع القمر بيننا وبين الشمس، لا على كل الأرض، بل على بقعة منها.

الكسوف التام و الكسوف الجزئي :

لذلك البعثات الآن جاءت من أمريكا، ومن أوروبا، ومن فرنسا، ومن بريطانيا إلى منطقة عين ديوار في شمال شرق سوريا، والكسوف هناك سيكون تاماً، مدته دقيقتان، وخلال دقيقتين تصبح الأرض ليلاً تماماً، وعندئذ يرى سكان هذه المناطق النجوم ظهراً حقيقة هذه المرة، وليس أن يقول مزاحاً: والله لأريئك نجوم الظهر، هؤلاء سوف يرون نجوم الظهر تماماً، ويرون المشتري، والزهرة، وعطارد، ونبتون، وبلوتو، حتى العلماء ذكروا أسماء النجوم التي ترى ظهراً بعد أيام، إلا أن في منطقة عين ديوار والحسكة إلى الموصل هذه المنطقة المحدودة كسوفها تام، يمكن أن ترى ألسنة اللهب حول دائرة الشمس، وقد يزيد طول هذا اللسان عن مليون كيلومتراً، وقد يقول قائل: هل من

المعقول أنّ القمر بحجمه الصغير يحجب عنا أشعة الشمس؟ الجواب إن قرص الشمس أكبر من قرص القمر بأربعمئة مرة، ولكن بُعد القمر عن الأرض إذا قسناه إلى بعد الشمس عن الأرض، فبُعد الشمس عن الأرض يزيد عن بُعد القمر عن الأرض بأربعمئة مرة، فلو جئت بليرة سورية معدنية ووضعتها أمام عينك لحجبت عنك جبل قاسيون بأكمله، لأنّ بُعدها عن عينك خمسة سنتيمتر، أما بُعد العين عن جبل قاسيون فخمسة كيلو متر، فإذا اختلفت المسافة فإنّ الشيء الصغير يحجب الكبير، فالكسوف يكون القمر بين الأرض والشمس، أما عندنا في الشام فيبدو الكسوف جزئياً كوقت المغرب، طبعاً ليس هناك شمس، وليس هناك ظلام دامس، وهذا اسمه كسوف جزئي.

نعم الله عز وجل على الإنسان :



شبكة العين فيها مائة وثلاثون مليون مخروط وعصية

شبكة العين فيها مائة وثلاثون مليون مخروط وعصية، وهذه مستقبلات للضوء، وهذه الشبكة مؤلفة من عشر طبقات، وهي حساسة جداً، وأخطر ما في العين، والذي كشفه عدد نال جائزة نوبل عام ألف وتسعمئة وسبعة وستين، مائة وثلاثون مليون مستقبل ضوئي، من أجل أن تأتي الصورة ناعمة تماماً، والذي عاصر الصحف في

البدايات، يذكر أنّ الصور كانت نقطاً خشنة، وهي مجموعة نقاط، والآن في الكمبيوتر، بالطابعة، يقول لك مثلاً تسعمئة نقطة في الميليمتر، أو ستمئة، أو ثلاثمئة، وكلما كثرت النقاط تصبح الصورة طلساً، وجميلة جداً، فالله وضع لك في الشبكة مئة و ثلاثين مليوناً من أجل أن ترى الصور بدقة بالغة، فلو صورنا الأخوان بألة تصوير الآن، وحمضناها فنجأ بأن ألوان الوجوه كلها واحدة تقريباً، ما عدا واحداً أبيض ناصعاً، وآخر أسود داكناً، أما الأغلبية فلون واحد، فالأفلام التي يصنعها الإنسان ليس فيها قدرة على أن تظهر تفاوت الألوان، بينما العين البشرية لو درجت اللون الأخضر ثمانمئة ألف درجة، فإنّ العين البشرية تفرّق بين درجتين، السليمة منها طبعاً، فهذه مئة و ثلاثون مليون عصية ومخروط لاستقبال الألوان الأبيض والأسود، ومن نعم الله علينا وفضله أننا نرى الصور ملونة، بينما القطط والكلاب لا يرونها ملونة، بل أبيض وأسود، أمّا نحن فنراها ملونة، وهذا من فضل الله علينا، وهذه الشبكة ليس فيها مستقبلات للألم، إذ عندنا أعصاب حس، وأعصاب ألم، وأعصاب حركة، والله عز وجل ما وضع في الشعرة أعصاب حس، وإلا لزمك تخدير لقص أظفرك، ولكن لحكمة بالغة بالغة ما جعل في الأظافر أعصاب إحساس، ولا في

الشعر، ولحكمة بالغة أيضاً ما جعل في الجهاز الهضمي أعصاب حس، فلو فتحت حنجرة إنسان، ووضعت فيها ماءً يغلي لم يشعر بشيء أبداً، لأنّ أعصاب الحس في اللسان، ولذلك قال تعالى:

(وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)

[سورة محمد:15]

ما قال: فأحرقهم قال:

(وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)

[سورة محمد:15]

كلام القرآن دقيق.

احتراق شبكية العين عند النظر إلى الشمس أثناء الكسوف :

والآن إذا كانت عندنا بحرة فيها صنوبر، وفيها مصرف، والصنوبر إنش، والمصرف إنش، وهي ممثلة لن تفيض، فمتى تفيض؟ إذا صار الصنوبر إنشين، والمصرف إنشاً، أو بالعكس، فقد ضيقنا المصرف، وأبقينا الصنوبر إنشاً، قال الله عز وجل:

(أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ)

[سورة المائدة:83]



عندنا صنوبر مفتوح على قرنية العين، وعندنا قناة للدمع هي المصرف، وثمة تناسب بين صنوبر الدمع والمصرف، والإنسان حينما يبكي يزيد الصنوبر على المصرف، فيحدث فيضان للدمع، وكلام القرآن كلام خالق الأكوان قال:

(أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ)

[سورة المائدة:83]

فإنه عز وجل ما جعل في شبكية العين مستقبلة للألم، ولو أن الإنسان الآن من دون كسوف حدق في أشعة الشمس ملياً لاحتترقت شبكية عينه دون أن يشعر، ولعان من ضعف في البصر، لذلك يُمنع أن تنظر إلى قرص الشمس.

الحكمة من الصلاة وقت كسوف الشمس :

ولكن كسوف الشمس مناسبة مغرية جداً، كي تحدق في قرصها، وحينما تحدق في قرص الشمس يمكن أن تصاب الشبكية بأذى خطير، والأذى الذي قاله الأطباء لا يصحح، ولا يرمم، بل تحترق

طبقة من طبقات الشبكية، إذا حدثت في قرص الشمس في أثناء الكسوف تحترق الشبكية، والعلماء قالوا: إذا كان هذا الخطر قائماً على الكبار فهو على الصغار أشد ، لأن شبكية العين عند الصغار حساسة جداً، وضعيفة المقاومة، فلو سمحنا لأطفالنا أن يحدقوا في قرص الشمس في أثناء الكسوف لأصاب شبكيتهم خلل خطير قد لا يرمم، ولعل النبي عليه الصلاة والسلام لحكمة بالغه أمرنا أن نصلي وقت الكسوف، وأن نطيل الركوع والعيون نحو الأرض، وأن نطيل السجود والعيون على سطح الأرض، وأن نطيل الركوع والسجود كي لا نرى قرص الشمس في أثناء الكسوف.

ملاحظة :

مات ابن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهو سيدنا إبراهيم، ورافق هذا الموت كسوف للشمس، فتوهم الصحابة الكرام لعظم قدر النبي عندهم أن الشمس كسفت لموت إبراهيم، فقام النبي عليه الصلاة والسلام خطيباً وقال:

((إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجِلِي))

[البخاري عن المغيرة بن شعبة]

والنبي أمرنا أن نصلي صلاة الكسوف، فهذه مقدمة عن الكسوف، وعن أصله، أما الخسوف فنقع الأرض بين الشمس والقمر، وأما الكسوف فيقع القمر بين الشمس والأرض.

تعريف الكسوف :



تعريف الكسوف: ذهاب ضوء أحد النيرين ؛ الشمس والقمر أو بعضه، ذهاباً كلياً فنقول عنه: إنه كسوف كلي

أو ذهاباً جزئياً فنقول: إنه كسوف جزئي، و تغيره إلى سواد، يقال: كسفت الشمس، وكذا خسفت، كما يقال: كسف القمر أو خسف، كلاهما جائز، كسوف أو خسوف للشمس والقمر، ولكن المصطلح أن الكسوف للشمس، والخسوف للقمر.



وقت صلاة الكسوف و شرعيتها :

صلاة الكسوف: صلاة تؤدي بكيفية مخصوصة، عند ظلمة أحد النيرين أو بعضها، وهذا هو الحكم التكليفي، والصلاة لكسوف الشمس سنة مؤكدة عند جميع الفقهاء، و في قول الحنفية إنها واجبة، أما الصلاة لخسوف القمر فهي سنة مؤكدة عند الشافعية والحنابلة، وهي حسنة عند الأحناف، ومندوبة عند المالكية، والأصل في ذلك الإخبار عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

((فعن زياد بن علاقة قال سمعت المغيرة بن شعبة يقول انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم فقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَكْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ))

[متفق عليه عن زياد بن علاقة]

ولأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى لكسوف الشمس كما رواه الشيخان، ولخسوف القمر كما رواه ابن حبان في كتابه الثقات.

((عن الحسن عن ابن عباس أن القمر كسف وابن عباس بالبصرة فخرج ابن عباس فصلى بنا ركعتين في كل ركعة ركعتان ثم ركب فخطبنا فقال: إنما صليت كما رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي وقال: إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتم شيئاً منها كاسفاً فليكن فزعكم إلى ذكر الله عز وجل))

[مسند الإمام الشافعي وعن الحسن عن ابن عباس]

وهي صلاة ذات ركوع وسجود، لا أذان لها ولا إقامة، أما وقت هذه الصلاة فمن ظهور الكسوف إلى حين زواله، لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((....فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي))

فصار وقتها من بدء الخسوف أو الكسوف إلى انجلاء الكسوف أو الخسوف، فجعل الانجلاء غاية الصلاة، ولأنها شرعت رغبة إلى الله في ردّ نعمة الضوء.

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ)

[سورة القصص: 71]

الحكمة من صلاة الكسوف :

الحكمة من صلاة الكسوف، أن نعرف نعمة الضوء، وقد كان يقول عليه الصلاة والسلام:

((يَا سُبْحَانَ اللَّهِ أَيَّنَ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ))

[أحمد عن سعيد بن أبي راشد في حديثه الطويل]

تكون مستوحشًا خائفًا من أشباح، شاعرًا بخوف، وقلق، فتشرق الشمس، ومع إشراق الشمس يمتلئ القلب شعورًا بالأمن، والطمأنينة، فنعمة الضوء نعمة كبيرة جدًا، وقد أعجبنى في بعض البلاد الأجنبية أنه ما من بيت إلا ويستخدم أشعة الشمس في الإضاءة، عن طريق فتحات في السقف، وهذا شيء مطبق في معظم البيوت، فتحات في السقف يستخدمون أشعة الشمس في الإضاءة، لأنها أشعة ربنا، فلا ثمن للكهرباء آخر الشهر، والآية الكريمة:

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ)

[سورة القصص: 71]

في هذه الآية قال:

(أَفَلَا تَسْمَعُونَ)

[سورة القصص: 71]

أما الآية الثانية فقال تعالى:

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ)

(فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة القصص: 72]

والعلماء قالوا: في النهار الحاسة الأولى هي البصر، أما في الليل فالسمع، سمعنا صوتًا، لكن لم نر شيئًا، سمعنا صوتًا فقط، يقلق في الليل الحاسة الأولى هي السمع، في النهار الحاسة الأولى هي البصر، إذاً لعلها شرعت لتقدير نعمة الضوء في حياة الإنسان، وربنا عز وجل حرك أشياء وثبت أشياء، فثبت أشعة الشمس، إنها في شروق دائم.

حكم صلاة الكسوف في الأوقات التي تكره فيها الصلاة :

صلاة الكسوف في الأوقات التي تكره فيها الصلاة: اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب الأحناف إلى أنها لا تصلى في هذه الأوقات التي ورد فيها النهي عن الصلاة، من شروق الشمس حتى ترتفع، ومن كون الشمس في كبد السماء حتى تزول، ومن اصفرار الشمس حتى تغيب، فهذه ثلاث أوقات تكره فيها الصلاة، فلو كان الكسوف في هذه الأوقات كُرِهت عند الأحناف، لأنها أوقات مكروهات، أما

عند السادة الشافعية فصلاة ذات السبب تصلى في وقت الكراهة، أما أن تصلي نفلًا مطلقاً فمكروه، فإذا وُجد سبب للصلاة صليت في وقت الكراهة، فإذا كنت مع المذهب الحنفي، وكان الكسوف في وقت مكروه فتجعل مكانها تسيحًا و تهليلًا و استغفارًا، و تفوت صلاة كسوف الشمس لأحد أمرين؛ الآن إذا أراد شخص أن يصلي الجنازة، و قد انتهت الصلاة عليها فقد فاتته ولا يصليها، و متى تفوت صلاة الكسوف؟ تفوت لأحد أمرين؛ انجلاء جميعها، انتهى الكسوف، و انتهت معه الصلاة، فإن انجلى البعض فلك أن تصلي صلاة الكسوف، فإن انجلى البعض فله الشروع للصلاة للباقي. والشيء الثاني أن صلاة الكسوف تنتهي بغروب الشمس، ولو كانت مكسوفة، ولو قبل الغروب بربع ساعة، كسفت، ثم غابت، فغياب الشمس إنهاء لصلاة الكسوف، والمعنى الذي أراده النبي أن تكون في أثناء الكسوف مصليًا، و تطيل الركوع و السجود.

سنن صلاة الكسوف :

أما السنن؛ فيسن لمن يريد صلاة الكسوف أن يغتسل، لأنها صلاة شرع لها الاجتماع، وأن تصلى حيث تصلى الجمعة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم صلاها في المسجد، إذا أول سنة - الاغتسال - و ثانيها أن تصلى في المسجد، في مكان صلاة الجمعة، وأن يدعى لها: " الصلاة جامعة "، و ليس لها أذان، و لا إقامة، اتفاقاً، و من السنة أن يكثر ذكر الله فيها، و الاستغفار، و التكبير، و الصدقة، و التقرب إلى الله تعالى بما استطاع من القرب، لقول النبي صلى الله عليه وسلم:

((....فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَجْزِيَ))

فعليك بالإكثار من الصدقة، و الأعمال الصالحة، و القرب من الله، و الدعاء، و الاستغفار، و التكبير، و أن تصلى جماعة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم صلاها في جماعة. و قال أبو حنيفة و الإمام مالك: يصلى لخسوف القمر وحادناً فرادى، تصلى ركعتين ركعتين، و لا تصلى جماعة لخسوف القمر، لأن الصلاة جماعة لخسوف القمر لم تنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، مع أن خسوفه كان أكثر من كسوف الشمس، و لأن الأصل أن غير المكتوبة لا تؤدي في جماعة إلا بالدليل.

إذا خسوف القمر تصلى صلاته فرادى، و كسوف الشمس تصلى صلاتها جماعة.

و أبو حنيفة رحمه الله تعالى قال: لا خطبة لصلاة الكسوف، و ذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم:

((....فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَجْزِيَ))

أمرهم عليه الصلاة و السلام بالصلاة، و الدعاء، و التكبير، و الصدقة، و لم يأمرهم بخطبة، و لو كانت الخطبة مشروعة فيهم لأمرهم بها، و لأنها صلاة قد يفعلها الفرد في بيته فلم تُشرع له خطبة. و قال الشافعية: يسن أن يخطب لها الإمام بعد الصلاة خطبتين كخطبتي العيد و الجمعة، لما روت

السيدة عائشة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لما فرغ من الصلاة قام وخطب في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

((إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجِلِي))

[البخاري عن عائشة]

تشرع صلاة الكسوف للمنفرد والمسافر والنساء :

تشرع صلاة الكسوف للمنفرد، والمسافر، والنساء، والمسافر يصلّيها، والمنفرد يصلّيها، والنساء يصلّيها، لأن عائشة وأسماء رضي الله عنهما صلّتا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويستحب للنساء غير ذوات الهيئات أن يصلين مع الإمام، أما من تخشى الفتنة منهن فيصلين في البيوت، لأن الفتنة ينبغي أن تُبعد عن الصلاة. والحقبة عند الأحناف صلاة الكسوف ركعتان كأى صلاة، ركعتان وركوعان و أربع سجّات، لكل ركعة قيام، وقراءة، وركوع، وسجّتان، كأية صلاة.

كيفية صلاة الكسوف :

الآن كيفية صلاة الكسوف، لا خلاف بين الفقهاء في أن صلاة الكسوف ركعتان، و اختلفوا في كيفية الصلاة بها، فذهب الأئمة الإمام مالك والشافعي وأحمد إلى أنها ركعتان، وفي كل ركعة قيامان، وقراءتان، وركوعان، وسجودان، واستدلوا لما رواه عبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ قَالَ:

((انْحَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا نَحْوًا مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتَكَ تَتَأَوَّلْتِ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْتَكَ كَعَكَعْتَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَتَأَوَّلْتُ عُقُودًا وَلَوْ أَصْبَيْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا وَأَرَيْتُ النَّارَ فَلَمْ أَرِ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْطَعُ وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النَّسَاءَ قَالُوا بِمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ بِكُفْرِهِنَّ قِيلَ يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ قَالَ يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ))

[متفق عليه عبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ]

وقالوا: وإن كانت هناك روايات أخرى إلا أن هذه الرواية هي أشهر الروايات في الباب، و الخلاف بين الأئمة في الكمال لا في الأجزاء والصحة، فيجزئ في أصل السنة ركعتان كسائر النوافل عند الجميع، فيجزئك أن تصلي ركعتين فقط كأية صلاة عادية، وهذا الحد الأدنى، وأدنى الكمال عند الأئمة الثلاث أن يحرم بنية صلاة الكسوف، نويت أن أصلي صلاة الكسوف، و يقرأ فاتحة الكتاب، ثم يركع، ثم يرفع رأسه ويطمئن، ثم يركع ركوعاً ثانياً، ثم يرفع رأسه ويطمئن، ثم يسجد سجدتين، فهذه ركعة، ومقبول منك ركعتان كأية صلاة، قيام، وقراءة، و ركوع، و سجدتان، أي ركعتان، فالحد الأدنى من الكمال كما ذكر قبل قليل أن تقف، وتركع، وتركع، ثم تقف، وتطمئن وتركع، ثم تقف وتطمئن، وتسجد سجدتين، وتعيدها كالركعة الثانية.

إذاً هي ركعتان، وفي كل ركعة قيامان، وركوعان، وسجودان، و باقي الصلاة من قراءة، وتشهد، وطمأنينة كغيرها من الصلوات أعلى الكمال، الآن المدارس درجات؛ مقبول، وناجح، و شرف، فأدنى النجاح مقبول كما قلت قبل قليل، وأعلى الكمال أن يحرم، و يستفتح، و يستعيد، و يقرأ الفاتحة، ثم سورة البقرة، أو قدرها في الطول، ثم يركع ركوعاً طويلاً، و يسبح قدر مئة آية، ثم يرفع من ركوعه فيسبح ويحمد الله عز وجل في اعتداله، ثم يقرأ الفاتحة، و سورة دون القراءة الأولى آل عمران، أو قدرها، ثم يركع فيطيل الركوع، وهو دون الركوع الأول، ثم يرفع من الركوع فيسبح و يحمد، ولا يطيل الاعتدال ثم يسجد سجدتين طويلتين، ولا يطيل السجود بين السجدتين، ثم يقوم إلى الركعة الثانية فيفعل مثلما فعل في الأولى، لكن يكون دون الأول في الطول في كل ما يفعل، ثم ينتشهد ويسلم، فعندك حد مقبول ومتوسط، و عالٍ. المقبول: ركعتان كأية صلاة.

المتوسط: ركعتان كل ركعة بقيامين وركوعين وسجودين.

العالي: تقرأ البقرة، وتسبح مقدار مئة آية، وتقف مرة ثانية وتقرأ آل عمران، و تسبح مقدار مئة آية، أو أقل بقليل، ثم تقف وتطمئن، ثم تسجد، وتسجد، و تعيد في الثانية ما فعلته في الأولى.

القراءة جهرية أم سرية :

والآن يجهر بالقراءة في خسوف القمر، لأنها صلاة ليلية، والصلوات الليلية جهرية، والنهارية سرية، و لخبر عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم جهر في صلاة الخسوف، ولا يجهر في صلاة خسوف الشمس، والنبي ما صلاها جماعة الخسوف، بل صلاها فرداً في بيته، فمن الحجة في ذلك؟ السيدة عائشة، صلاها بقراءة جهرية، لأنها صلاة ليلية. إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الكسوف فلم نسمع له صوتاً، لأنها صلاة نهارية، وإلى هذا ذهب الحنفية والمالكية والشافعية.

عدم ورود الخطبة في صلاة الكسوف :

أما الخطبة فليست واردة كما قلت في صلاة الكسوف، إلا أن بعض الأئمة قالوا: لأن النبي قام وقال:

((إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجِلِي))

[البخاري عن المغيرة بن شعبة]

وهذه الصلاة سنة مؤكدة عند جميع الأئمة، وهي واجبة عند الأحناف، ونحن إن شاء الله تعالى نصليها يوم الأربعاء، فإذا لم أسافر سأكون معكم إن شاء الله، وعلى كلِّ فأبو محمد الله جزاه الله خيراً يصلي بنا إماماً الحد المتوسط، حتى لا ننفر الأخوان، إن شاء الله نصليها يوم الأربعاء في أثناء الكسوف، إذا لم أسافر سأصليها معكم، فإذا سافرت فاعذروني، أصليها منفرداً.

صلاة الاستسقاء :



تقنين الله عز وجل تقنين علاج وتربية
لا تقنين عجز :
نظراً لأن الناس كلهم متلهفون إلى
المطر، وتأخر المطر يؤكد أن الرزق
في السماء، قال تعالى:

(وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)

[سورة الذاريات:22] تقنين الله تقنين علاج لا تقنين عجز

وأن الله سبحانه وتعالى إذا قنن المطر فتقنينه تقنين علاج وتربية لا تقنين عجز، قال تعالى:

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِنْآ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ)

[سورة الحجر:21]

وأن الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي يقول: "عبي لي عليك فريضة ولك علي رزق فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك"، ولأن الله تعالى يقول:

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا)

[سورة هود:6]

فهذه الدابة النكرة تعني أنواع الدواب كلها من دون استثناء، وهذه المن لا استغراق أفراد كل نوع على حدة، أي دواب النمل نملة نملة، ودواب الدجاج دجاجة دجاجة، ودواب الخرفان خروفاً

خروفاً، ودواب الإنسان إنساناً إنساناً، فما من النفي والاستثناء، للقصر والحصر، الرزق على الله وحده وليست على جهة سواه، والدواب كلها وأفراد كل نوع من أنواع الدواب استقصاءً وحصراً على الله رزقها، وكلمة على تفيد الاستعلاء وتفيد الإلزام، أي أن الله عز وجل ألزم نفسه برزق العباد، ولكن يؤثر المطر لحكمة يعلمها وللفت نظر البشر وإيقاظهم من نومهم، ومن غفلتهم.

تنويه :

دخل رجل على الإمام الحسن البصري فقال: يا إمام إن السماء لا تمطر؟ فقال: استغفر الله، ثم دخل رجل آخر فقال: إن زوجتي لا تنجب؟ فقال: استغفر الله، ثم دخل ثالث فقال: إني أشكو الفقر؟ فقال: استغفر الله، قال أحد الجالسين عجبنا لك يا إمام أكلما دخل عليك رجل يسألك حاجة تقول له استغفر الله، قال له: ألم تقرأ قوله تعالى:

(**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً)**

[سورة نوح:10-12]

أي سؤال الإنسان إذا أردت أن تعرف ما لك عند الله فانظر ما الله عندك، وإذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما أقامك، وإذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما استعملك.

الاستسقاء :

وللاستسقاء باب ومطلع هذا الباب أن للاستسقاء صلاة من غير جماعة، وله استغفار، ويستحب الخروج له ثلاثة أيام مشياً في ثياب خُلقة غسيلة، مرقعة، مبللين، متواضعين، فإذا كان الزمان لا يسمح بلباس ثياب مرقعة، وإذا كان الخروج صعباً لاتصال العمران، فالإنسان لا يمنعه أن يسجد في البيت، ويسأل الله سبحانه وتعالى السقيا، لولا شيوخ رقع، وأطفال رضع، وبهائم رتع، لصب عليكم العذاب صبا.

ما يستحب في صلاة الاستسقاء :

خاشعون لله، ناكصو رؤوسهم، مقدمو الصدقة كل يوم قبل خروجهم:

((استمطروا الرزق بالصدقة))

[الجامع الصغير عن جبير بن مطعم]

ويستحب إخراج الدواب والشيوخ والكبار والصغار والأطفال، وفي مكة وبيت المقدس يصلى في المسجد الحرام والمسجد الأقصى، أي صلاة الاستسقاء تكون في أحد هذين الحرمين في مكة وبيت المقدس، وينبغي لأهل مدينة النبي عليه الصلاة والسلام أن يفعلوا ذلك، ويقوم المصلي مستقبلاً

القبلة، رافعاً يديه والناس قعود، يستقبلون القبلة، يؤمنون على دعائه، ويقول: "اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً هنيئاً مريئاً مريعاً - كافياً - غدقاً عاجلاً مجلجلاً - عاماً - سحاً غزيراً، طبقاً أي لا يترك في السماء فرجة من اللون الأزرق وما أشبهه، أي الدعاء الأبسط: " اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين"، مرة كنت أقف في الطريق أمام شخص قال له آخر: والله بعنا السنة الماضية بيعاً لا يصدق، قال له: ما السبب؟ قال له: كان موسماً طيباً في الجزيرة، وهذا عنده معمل أقمشة ومعمل تطريز فاستغربت ما علاقة بيع هذا القماش المطرز؟ قلت: سبحان الله ورزقكم في السماء وما توعدون، وهذه الأمطار تدير العجلات كلها، و كل شيء يتحرك، و الإنسان عليه أن يتوجه إلى الله بالدعاء الصادق فلعل الله سبحانه وتعالى يغيثنا.

الحكمة من حبس المطر :

سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام كان يستسقي ربه هو وقومه، وكان كلّم الله عز وجل، فقال الله عز وجل: يا موسى إن فيكم عاصياً، وهو سبب شحّ السماء، فقال موسى عليه السلام: "من كان عاصياً لله فليغادرنا" فما لبثت السماء أن أمطرت ولم يغادر أحد من جماعة موسى، فقال يا ربي لقد أمطرتنا ولم يغادرنا هذا العاصي؟ فقال الله عز وجل: لقد تاب بيني وبينه، فقال: من هو يا ربي؟ قال: عجبت لك يا موسى أستره وهو عاص وأفضحه وهو تائب؟ مستحيل. فلعل الله عز وجل يستجيب الدعاء، و ربنا أحياناً يحبس السماء حتى يشعر الإنسان بقيمة الماء، أي لا يوجد نبات، ولا مزروعات، ولا لحم، ولا كهرباء، كل شيء متوقف على ماء السماء، فسبحان الله الأرض دورانها ثابت، والشمس دورانها ثابت، و المذئّب كل ست وسبعين سنة مرة، الحديد خواصه ثابتة، الماء خواصه ثابتة، و ربنا عز وجل ثبت أشياء كثيرة بل إنه ثبت معظم الأشياء فحركة الأفلاك ثابتة، وخواص المواد ثابتة، فلماذا حرك المطر ولم يجعله ثابتاً وكان بالإمكان أن يجعل انهمار المطر في كل بلد بكميات ثابتة لا تزيد ولا تنقص؟ بالشام ألفا ميليمتر ولا تنقص، لكن الناس إذا جاءتهم الأمطار منتظمة استغنوا عن الله عز وجل، واستغنوا عن الاتصال به، وعن الالتجاء إليه، وعن التضرع إليه، فباستغنائهم يشقون، والله عز وجل قال:

(وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا)

[سورة النساء: 28]

ما وجدت مثلاً أقرب لهذه الآية من الفيوز في الجهاز الكهربائي، إنه كبير النفع، وهذا الفيوز ثمنه عشرة قروش، ولكنه يوفر عليك حرقاً لجهاز بكامله، هذا الجهاز ثمين، يوجد أجهزة كومبيوتر ثمنها ثلاثون مليوناً، ومعها فيوزات، وتعريف الفيوز نقطة ضعف في مسير التيار الكهربائي، فلو ارتفع التيار لساح هذا الفيوز وانقطع التيار وحفظت الآلة من التلف، فلما ربنا عز وجل خلق في حياة الإنسان نقطة ضعف وهي المطر، خلق الإنسان ضعيفاً، وهذا الضعف الذي خلقه الله عز وجل

لمصلحة الإنسان، والله عز وجل يحب أن يسمع تضرع العباد هذا على المستوى الجماعي، وعلى المستوى الفردي الله عز وجل يحب أن يسمع صوت عبده اللهفان، فلما الإنسان يكون له حاجة عند الله عز وجل ويستيقظ من الثلث الأخير من الليل ويسجد لله عز وجل ويذكر الحديث القدسي:

((إِنَّ اللَّهَ يُمَهِّلُ حَتَّىٰ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ هَلْ مِنْ تَائِبٍ هَلْ مِنْ سَائِلٍ هَلْ مِنْ دَاعٍ حَتَّىٰ يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ))

[البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ]

فليس لنا إلا باب الله عز وجل.

ومالي سوى فقري إليك وسيلةً فبالافتقار إليك فقري أذفع
ومالي سوى قرعي لبابك حيلةً فإذا رددت فأني باب أقرع؟
ومن ذا الذي أدعو وأهفو باسمه إذا كان فضلك عن فقيرك يمنع؟

الله عز وجل جعل المخاوف لتلجأ إليه :

ليس لنا إلا باب الله عز وجل، والإنسان يعود نفسه إذا كان له عند الله عز وجل حاجة، أو قضية مستعصية، أو مرض ليس له دواء، أو زوجة مشاكسة، أو رزق قليل، أو شريك متعب والإنسان يخافه، والحياة كلها مخاوف، والله عز وجل جعل كل هذه المخاوف كي تلجأ إليه، وكيف أن الجرو في الطريق يدفع الابن إلى أمه، وإلى التعلق بأمه،



المصائب دوافع إلى الله عز وجل

والالتجاء إليها، والاحتفاء بها، والاتصال بها، وكذلك هذه المصائب وهذه المخاوف كلها دوافع إلى الله عز وجل، ولو كشف الغطاء لاخترتم الواقع، وليس في الإمكان أبدع مما كان، ولو عرفتم حكمة الله عز وجل ما طلبتم تبديل الواقع، وهذا موضوع الاستسقاء، ونحن كل دعاء في خطب الجمعة، وفي درس الأحد في العفيف صباحاً نقول: "يا ربي اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين" والحديث الوحيد للناس موضوع المطر، هذا شهر كانون والآن الخامس عشر من كانون الأول ولا يوجد

مطر إطلافاً، والأشجار عارية، والأنهار فارغة، والينابيع جفت، والآبار أيضاً جفت، ولا ننتظر إلا
رحمة الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين